



المشرق

العدد الثاني والعشرون

آذار - نيسان ١٩٥٨

الانسان الكامل وميزته النشورية في الاسلام

بقلم الاستاذ لويس ماسينيون

ترجمه

ان الموضوع الذي يتناوله الاستاذ ماسينيون هنا هو واحد من تلك الابحاث الكبرى التي تعود المهتمون بالشؤون الاسلاميه والصوفيه خاصة ان يقرأوها تحت ريشه الاستاذ الكبير صاحب «آلام الخلاج». قد يفوت الكثيرين فهم هذا البحث الذي هو ثروة ينبغي لدنيا فترقا المسمي. ولقد كان نقله الى العربية ضرباً من السعادة اللغويه. فالنص الفرنسي ذاته هو آية في الصعوبة والاعجاز، وذلك لان اسلوب ماسينيون خاص به، وتأثيره صارت يزخر فيها النفس الملحمي فتضج الكلمات وتتصادم الحروف، واذا به يطوفك من الطيف الى الفلسفة الى الشر، ويتيمك نبرة تحاكي وعيد النبوءات القديمة.

وهذه الترجمة التي تقدمها اليوم «للمشرق» كان حاولها عبد الرحمن بدوي في كتابه «الانسان الكامل في الاسلام» (القاهرة، سنة ١٩٥٥، ص ٧٩-١١٢). واذا كنا نريد المحاولة ذاتها فلاباب عديدة منها ان ترجمة الاستاذ بدوي، رغم إقرارنا بالخدمات الجليلة.

التي أدت لنا ، قد اخفقت حيناً في فهم المعنى واحياناً في ادائه المعنى ، ومنها ايضاً ان يتعرف الكثيرون على هذا البحث الذي نشر في مجلة «صعبة المثال» موقوفة على بعض التبرعات المدودين من ذوي الاختصاص المالي .

ومن الاسباب ايضاً اهمها اعترافنا بفضل رجل لن نُذكر الصوفيّة الاسلاميّة من بند ، طالما هنالك اسلام ومستشرقون ، إلا وُدّ ذكر اسمه . وقد نورد يوماً الى درس شامل لفكرته وآثاره في حفل التصوف الاسلامي ، وللطابع الذي ختم به جباه المتتبعين بالاسلاميات اليوم ، ورسالة «اللائعنف» التي يشترجا ايضاً . جيله ، انه واحد من الفلافل الذين وهبوا دون ريتة بعد ان وهبوا بغير حساب ،

بشال الحايك

١

قبل ان ابدأ في درس المطيات الاسلاميّة خول «الانسان الكامل» ، اودّ ، حسب تعبير يونج (Jung) ، ان «ادخل حلقة اللعب» فاقود القارئ ضمن «ساحة المقولة» حيث تُعبّر كحقيقة صادقة مثل هذه المواضيع ، ذات الصبغة الرموزية المتفاوتة الالوان . فجدوا لو أتبع لعالم اجتماعي يعني بالشؤون الاسلاميّة ان يعرض ، بشكل عام وحسب الطريقة «الوجودية» ، اهمية هذه المواضيع الحصرية ، الآن ، وقد أوشكت ان تدق ساعة «الحساب» الاخير في اذن اوربا المستعمرة (وفي اذن الصهيونية التي قائلها) ، ذلك «الحساب» الذي يتدمج في الصيحة المتصاعدة من افواه الشعوب المستعمرة المطالبة بحقوقها ، بعد ان حرمانها نحن نصيباً من امتيازات حضارتنا .

اجل هر «الحساب الاخير!» ولقد صدق الفيلسوف الوجودي المسيحي ، غبريل مرسل (Gabriel Marcel) ، اذ لاحظ ، في مقال عنوانه : «التكنية والحظية»^(١) ، «ان حزب التامسيح» (Léviathans) قد تنادت في الكون كله فانقلبت جريمة عامة ضد الحياة ، وان القبلة النورية ترامت شهدياتها بالافناء حتى حدود الشمول . نعم ، لا يزال بعد هنا وهناك صدى احتجاجات خافتة

(١) Louis MASSIGNON, *L'Homme Parfait en Islam et son origine eschatologique*, dans *Eranos — Jahrbuch* (Zürich, 1947), XV, pp. 287-314.

(٢) G. MARCEL, op. «*Le cheval de Troie*», I, p. 76-94.

تدعو الى «الرفق بالحياة» ؛ ولكن التكنية لا ترفق ، والتي هي نصيب النخبة المتحضرة ، تصد عن سماع تلك الاحتجاجات المهاملة المتضائلة يوماً بعد يوم . وبما ان الانسانية اُمت على وشك الانتحار ، فلقد ولجنا حقيقة ، أيقنا ان لم نوقن بذلك ، في عهد نشوري .

كذا تبدل الظواهر اليوم ؛ أما من حيث باطن الاحداث فاننا حين نسمع فلا نكتفي بسماع صرخة العدالة منطلقة من حناجر التمساء المحتردين غصياً في المصانع التكرمية (Concentrationnaire) ، اذناك يتحسس وجداننا بان هنالك ايضاً خطراً للخلاص مداهاً من صوب العالم الاخر . ان هذا المظهر الاخروي واحد من الإغراض الفلسفية والدينية المتنوعة الافاق التي تهتم بدرسا المجلة الباريسية المسماة : « الله الحي » (Dieu-Vivant) . قد أنشئت حديثاً في باريس « لجنة مسيحية للتفاهم » بين فرنسا و الاسلام ، ولكن في الوقت ذاته ما برحت اقلية من زعماء استماريين في اميركا واوروبا يستمرون في معاملتهم الامتهانية للاربعمائة مليون مسلم في العالم (وللمئامنة مليون هندي و يوزي) . وأمام هذا الواقع الحالي يحيل الينا بالشعور المبهم ان «الانسان الكامل» لن يكون ذلك الانسان الآلي (polytechnicum) ، سليل المصانع المبرور ، الذي نتجت اصابع التقدم في علم الفيزياء والكيمياء ، بل بالاحرى سينهض طالماً علينا من الينبات البشرية التي عوملت على اشد ما يكون من الامتهان ، متخذة نبرة «الحاكم» الذي ألجى الى لفظ قراره النهائي " .

ومهما كان الامر ، بقي ظننا ان فكرة «الانسان الكامل» قد نشأت في الرزق البامية ، لا في فلسفة الاغريق الذين نظروها فيما بعد بقوالب متعجزة . فهي عند انبياء اسرائيل فكرة «عبد يهوه» ، فكرة «البار المتبلي» اترمع ان يعود ظافراً الى كرامته في آخر الزمان ، فيظهر «مجد البار» الذي اخفى الله «سرّه» على الملائكة ، «السر» الذي هو تلك «الامانة» التي ما سرى

Cahier VII de « Dieu Vivant », Paris, éd. du Seuil; cf. « Témoignage Chrétien », Paris, 27/6/47. 15.8.47 (et « Combats », Paris, 22/6/47, 23 7.47).

(٢) اشيا ، ١٦:٣٤ ؛ وراجع

Léon Bloy, Lettre à Hello, 18/8/80 (in « Meuliant ingrat », 2, 79).

القلب البشري من يستطيع حماها ، (قرآن ، ٧٢: ٣٣) « ذهاب الامانة » ابن ماجه ، سنن ، ٢ : ٤١٩ . وهذه الفكرة هي ، في المسيحية ، عودة المسيح في آخر الزمن ، وترويج الكنيسة المثثة الملك ، وقاليه كل الذين حملوا باالله بقلب واحد ، وتمجيد انتقامي لكلمة « كن » العذراء . والفكرة ذاتها هي في الاسلام ، فكرة « شاهد القدم » ، صوت الروح المحطم في رجته كل رمز وتني ، اذ « يلا الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً » : انه الانشودة التي ترن ، ملاي بالانجاء ، لدى تحسبها بالجمال الازلي وهو على وشك ان يتعاد . والفكرة السامية حول « الانسان الكامل » مكينة الرى بالاسلوب النبوي . وبالرغم من الاحكام الهندو- اوروية المتسرعة ، فالتبوة ليست غابتها ، عند الساميين ، ان تنتقل الى صيغة المستقبل مع احواله المستقبلية لتاون الكل « بلوتنا المحلي » و« بزماننا الذاتي » ، نحن مشر الآريين ، وليس عليها ان تندمج في السياق المرصي . لتلك الاجداث المتقطعة ، المتفرقة التي تعب عنها اللغات الالتضاقية .

والاسلوب النبوي ، في اللغات السامية ، يدخل حالة الفعل التام في الفعل الناقص ، ويدخل المطلق في النسبي . و« معجزة » التبوة هي انها تعب عن ذاتها ، لا بتقطيع خط الزمان الهارب (بواسطة احداث متقطعة الالجات ، احداث عارضة ، نقطية ، دقاعة كدقات الساعة التي تُضاف الى بعضها البعض لتمد الحركة ، كما في الساعة الرملية الارسططاليسية) ، - ولا ان تمكس زمان الكواكب المتمدد السير في جريه الدوراني ، ذلك الزمان الذي هو ، حسب افلاطون ، لمحة من الابد (مطلمة على رجعاته الى الورا ، وقفقاته الى الامام ، وخفقاته بواسطة الاغزوم الكلداني النصف كروي) ، - ولكنها تعب عن ذاتها عندما تجمد عقرب الرقاص فوق درجة الصفر من درجات دورانها (الراقص ، مع نبضات الحياة حول اللحظة الحاضرة) ، فوق « نقطة اليكار » لدى الدرور ، فوق قة اسراعه ، فوق نقطة الوصول الغير المنتظر الى « مقام الخلاص » (القديس اغوستينوس) .

وإيقاف الزمن هذا هو « المصيبة » . والمصيبة هي النضر الاول في كل ملحمة ، مصيبة تفرض المدل اذ تفكك جهاز الطبيعة الثاني فتقدس الطبيعة ،

وتضند كالطيب جراح غريزة القداسة لنا . والمصيبة هذه تضرم فينا نيران غائبتنا القسوى حيث ندرك سبب وجودنا ، وذلك بادراك فجائي ، قرباني ، يحقق فينا شخصياً ذاك الرمز او تلك الفكرة النموذجية من التاريخ الانساني . وهذا الانفعال المحوري ، في الزمن الرقاص ، الذي هو الملحمة ، تجلو « بأسلوب القهقري » غاية التاريخ (تضامن في شخص آدم واستمادة الزمن في شخص المسيح) ويطلع من جديد حجارة الزاوية معروفة « بعد ان رزقت قديماً » وذلك حين يقابلها « بلبنة الفضة » المقفودة ، وبتقطعة الالتقاء في قبة « البنيان المرصوص » المقدسة . وهذه الملحمة تدير ايضاً فوهة الصور الصارخ نحو بدء الزمن وتعكس نظره الحاكم من النتائج صوب الاسباب ، وهي تجاور العلامات المعترضة فتذكر بشارتها النموذجية ؛ وإذ تجتمع العناية الالهية كل المعن والضمان والاختصاصات ، اذا بالذين قدر عليهم الحب تنجلي وجوههم فينبون وينزلون ويعشقون كلهم اهداف شخصية ، امام انظار الملاء « لا احد اغير من الله » (البخاري) توحيد ، في نهايته) ، « لن يجيرني من الله احد » (قرآن ، ٧٢ : ٢٢) .

ومها قيل ، فان نيرة صدق بمزقة تنطلق من هذه النصوص التي تنفر منها افهامنا ، وذلك لان فيها يتسلسل المدى ويتبدل الزمن ؛ وهذه الاضطرابات المقصودة قد ربطت باستمال متمد ليمض الأعداد الصحيحة ذات المعنى النموذجي ؛ فاذا بالصور تتداخل ، وبالجاللات الزمنية تمتحي مسافاتهما ، والغاية من كل ذلك هي ان تجلطنا نستقر في مجور المشيئة الالهية . فالتصاوير التي تتصادم وحشية ، شاذة ، في هذه النصوص ، وتجمل الحية نصيب مقاييس الجمال عندنا ، تقودنا الى ان ندرك ان كتابها « الملهمون » هم سلفاً شهود القيم الانسانية المقلوبة رأساً على عقب في آخر الزمان ؛ وانهم لم يحاولوا ان يصطادونا في شبك الغاية المسكنة ، ذات « الخيوط الطليظة » ، خيوط « الخدعة الكتابية الكبرى » (Grosse Täuschung) التي تكلم عنها الدكتور ديلتس (Fr. Delitzsch) : فهم في الله يتحققون ان هنالك لحمة جوهرية بين ما يترقمون من احداث عديدة تمرق احشائهم ، وبين النبوءات السابقة التي تثبت اسلافهم من حقيقتها . فاذا بدأ كرتهم تصبح رجاء ، ولذلك فانهم يستخرجون تباهاً « بعضاً مما سيحدث » فيولجونه فيها .

النبوة هي افصاح ملائكي الى الطبيعة الانسانية عن اقام غايتها بشكل خارق الطبيعة . وهذا لا يتم الا بتهديم الظاهر ، بنقض الهيكل الجسدي ، لتنجلي بعد ذلك النية العميقة وغاية المادة الداخلية ، فاذا بالنفس ، عارية امام الله ، تجد في ذلك النوع العقولي الذي به تبلغ حد الكمال قيمتها ، شهادة قصوى للحق الذي يجب عليها ان تعبر عنه . وهي تعبر عنه اذ تقوه بعبارة خلّاقة تتبدئ بضير المتكلم : « انا الذي هو الله مثبّتا وجوده المباشر من خلال تحطيم الايقونة وحطم الضليب المادي . انه الله وانه ايضا « الانسان الكامل » . فليس بعد لاهوت متأنس ، بل ناسوت متأله .

وهكذا نرى ان الرؤيا الاخروية تحمل معها تحقّيقها ، ولكن ذلك لا يتم باستعمال طارئٍ لِمَا مُفْرَض ، بل عندما تنجلي غوامضها الاولى تحت التأثير الباطني الناتج عن عامل تحليلي حاد ، عن تفسير جارح في الصدر (شرح الصدر). ان في هذا تبديلاً للقيم «يوقظ النائم» (ابن سبين) ، وصرخة الامة وهي تلد «الجيلي» . وليس سوى تواضع نذر القهر ما يحول الانسان ان يصير «حاكماً» ، وما سوى يتم الاب ، المولود من كلمة «كن» من يستطيع ان يحيي الموتى . هناك نصان في الانجيل لا يبادل قيمتهما الملحمة اي نص آخر ، وذلك لانهما لم يتحققا بعد وهذان النصان هما طوبويات «مرعظة الجيل» و«تطّيم نفسي» (لوقا، ١٠: ٤٦-٥٥) وقد لا يجد صنّاع التفسير الحرفي الاشتراعي سوى نسيج من الحماقات في هذين النصين اللذين يشران بقدم «الانسان الكامل» وبانتصار المظلومين . اما اولئك الذين حرموا كل شيء ما عدا الظأ الروحي الى العدالة ، فانهم يُقبلون عليها متمسكين بها بكل رجائهم الصامد ، غير المطلوب .

اجل ، عديدة هي الكتب المنحولة والمزيفة المنسوبة الى الانبياء ، حتى في بعض النبوءات الحقيقية . ألم تُمدل مثلاً ، في قضية جان دارك ، نبوة مرلان (Merlin) عن «الفتاة الآتية من غاب عتيق» كلتي (Celtique) اذ اقتطعت

(١) عبد الكرم الجيلي (المتوفي سنة ١٦٢٨) ؛ انظر كتابنا «Recueil» ١٩٢٩ ص ١٤٨) في «الانسان الكامل» ، طبعة القاهرة سنة ١٣٠٤ ، جز ٢ ، ص ٥٠ : «تلد الامة ربّتها» انظر كلمة «صبيحة» في القرآن ، ٥٠ : ٤١ .

منها فقرة خاصة بالحواشي المكانية . ولذلك كان يوسع جان دارك ، كما يظهر من سياق دعواها سنة ١٤٣١ ، ان تدعي ذاتها دون ايها بهتان تحقيق ذلك الموضوع النموذجي كله ، ما خلا تلك الفقرة التي أسقطت من نبوة مرلان ..

اما النبوات الكاذبة الموضوعة لخدمة السياسيين العالميين ، فانها تندثر سراعاً لما يعتريا من تناقض داخلي . فهي لا تثق بقيمة الرموز ، بينما تتطلب بينا ان تثق بقيمة اولئك الزاعمين بانهم حظوا بانعام تلك الرموز . ففي سنة ١٩١٧ خطر للكاتب البريطاني في القاهرة انه يستطيع تأييد هجوم جيش اللاند آتلي (Allenby) على القدس ، فاستغل المصادفة بين كتابة اسم آتلي بالعربية وبين قرأته بلفظ النبي ، وهكذا تنبأ المكب بالاستيلاء على المدينة . ولكن العالم العربي حينذاك لم ياتذ كثيراً بهذا التريف الساذج في مصلحة نبي أرغمه على امره وكان بالأحرى شبه بالمسيح الدجال اذ انه اعاد اليهود الى القدس دون ان يجعل يسيعهم .

٢

ان فكرة « الانسان الكامل » ظهرت منذ عهد متقدمة في تدريخ المبادئ الانسانية . فالدراسات التي تعنى بمقارنة الاديان ، حين ترقى الى الإلهام الاربي الجامل لتبدأ به بجوشها ، نجد صورة « الانسان الكامل » في « الانسان الابتدائي » (Urmensch) ، الذي هو « الجيومرث » (Jaiomerth) عند المزدكية ، و« ادم قدمون » عند القبالة اليهودية و« الانسان القديم » عند المانوية المستعربة . ولا بد من الاعتراف بان نظرية في وحدة الوجود العقلانية في الاسلام أدت في عهد متأخر الى تكوين نظرية في الانسان على انه « انسان عين الوجود » (المخلوق) ، فأحلت على الكلمة المتجدد عند النصارى فكرة نموذجية هي الطابع المعنوي الذي اودعه الخالق في خلقه ، فاذا بين الخالق والمخلوق نوع من اللحمة المجردة (نسا . الى سم الخالق) . و« انسان العين » هذا هو النبي محمد ، قبضة من النور النبوي الازلي زعموا ان الله قال لها : « كوني ! فلولاك ما خلقت السموات » . وفي هذا شيء من القول بجل « الجبل بلا دنس » بجماعة

المصطفين من المسلمين (ولكننا في الواقع نعلم ان القرآن (٣١:٣) لا يقول هذا الا عن عيسى و مريم) دون ان يعادل هذا الدورَ الازلي دورَ اخروي . اما في المسيحية فهذا « الحبل بلا دنس » لم يوجد الا مرتبطاً بالدور النهائي الخاص بالحاكم القادي (= يسوع) ، بينما عند اولئك المسلمين القائلين بوحدة الوجود لا نراه ابداً يفترض ان النبي سيكون الحاكم في يوم الحساب الاخير . وبما ان الثائية المدلية هي عند الساميين عنصر جوهرى في فكرة الانسان الكامل ، فان تطور نظرية « انسان عين الوجود » (الاصمعية ، ابن العربي) من الطابع النشوري الحي لم تحدث اى تأثير على التطور الاجتماعى في العالم الاسلامى . وهذا ما يعيننا من تحليلها هنا بالتفصيل . فهي انا تحدثت من تأليه فلسفى للعقل الفعّال ، بينما الانسان الكامل الحقيقى الذى ينتظر الاسلام بحينه هو مسيح من السماء .

وهنا يصدنا الاعتراض التليدي : او ليست فكرة المسيح اليهودية ذاتها ايرانية الاصل ، اذن آرية (Reitzenstein) ؟ او ليست ايضاً فكرة الانسان الكامل الاسلامى بمعناها النشورى الحي هي ذاتها ، منذ بدء تكوينها ، فكرة المهدي « المنتظر » عند الشيعة الامامية ، وهؤلاء ، كان معظمهم داخلين في الاسلام من اصل ايراني ، اى آري اذن ؟

لا شك في ان التاريخ الايراني الذى عتب العهد المزدكى ما برح ينفرج عن توق سام الى المدالة (فهناك الاعتقاد بمخلصين منتظرين : ساوشينت ، ميترا ، بهرام ، سروش ، وسائر « المبعوثين » المنورين) . ولكن ايران كانت دوماً تضم عنصراً سامياً ، طبقة من الكتبة المطبوعين بالروح السامية ، ومن المحتمل جداً ان يكون هؤلاء تركوا اثرهم في هذا التاريخ الايراني ، وذلك بستة قرون قبل المسيح . فعلى ذلك العصر كانت فكرة مجيى المسيح تتضخم ، بسبب الجلاء ، في نفوس الذين سبوا الى بابل وأنفوا عن ارض الميعاد . وفي ايران حينذاك كان تفهمهم كافٍ لهذا لوجاء بالمسيح المنتظر اذى الى السلاج بعودة اليهود الى اورشليم وتجديد بنان الهيكل . وعلى النحو ذاته نشهد منذ فجر الاسلام ، في اليمن العربية ، نشأة الفكرة ذاتها تقول بمخلص منتظر يأتي « ليمد كل حق الى نصابه » ، وهو القسطنطين صاحب العصا ، « منصور اليمن » . وبما ان

الجلاليات اليهودية والايوانية ، وهي كثيرة العدد في اليمن وقتئذٍ ، لم تندمج في التباين العربية عن طريق الولا . الا بعد اعتناقها الاسلام ، وبما ان القحطاني ، منصور هذا ، قد أحيى بين الموالين فتعرف اليه بنو كنده في شخص ابن الاشعث ، وبنو همدان في شخص عامل علوي (ابن وهب السبي) منصور القرمطي ، وبنو الحارث في شخص إمام كيسان عيسى (الفلاح ابن الحارثية) ، لاجل كل ذلك تبدو لنا هذه التصاميم الاولية « للانسان الكامل » عربية صرفة . وازاء نظرية وحدة الوجود التي تكلمنا عنها سابقاً ، نشأت فيما بعد محاولة توفيق هرسي التزعة غايتها ان توحد بين « انسان عين الوجود » والحاكم النهائي الذي يستببه الهرميرن الاغريق « آغاثوديمون » (Agathodémon) كما ذكر ذلك اخوان الصفا في « رسائلهم » الجامعة . ويحيى ابرسليان السجستاني^١ فيقول ان السادة القصرى هي التوصل الممكن منذ هذه الحياة الى « الطباع التام » اذ يلبس هذا « الطباع » المظنة الالهية (الربوبية عند الكندي) راجع « الماجذ » المنسوب الى جابر ، طبعة كراوس (P. Kraus) .

واكن هذه الاعتبارات وما شاكلها هي مضللة . فلا بد لنا اذا من عودة الى القرآن والتأمل في نصه تأملاً محورياً ، شيئاً ، شيئاً ، لكي نرى كيف تمت فكرة الانسان الكامل مع كل متطلباتها النشورية ، نحواً اسلامياً خالصاً .

لقد حاول كازانوفا (Casanova) ان يبرهن عن ان محمداً كان يعتقد في نفسه موقناً انه نبي « انتها . العالم » ، اذن هو « الانسان الكامل » . ولكن القرآن يقول عن عيسى « انه لعلم للساعة » ، (قرآن ، ٤٣ : ٦١) لا عن محمد ، وإلا لاحتجنا ان نضع من قدر اخلاص محمد في ايمانه بالله محور الكون ، ومن قدر تعبته للقرآن الذي كان يصليه . وهو كلام الله هذا الذي كان ييب به لا الى ان يحنق انبا . العالم بل ان يذكر الامة المحمدية بهذا الاتها . المزمع وذلك بأسلوب اشد عنفاً في ترواة اليرود والنجيل النصارى . فنذ الجيل الاول

(١) السجستاني ، مخطوطة كراوس ، الرسالة الثالثة : « في الكمال الخاص بنوع الانسان » .

للهجرة كانت السورة السابعة عشر تُقرأ للعباد من الدجال (الذي هو يأجوج ومأجوج ، عند ابن ماجه ، «سنن» ، جزء ٢ ، ص ٥١١ ، ٥١٣) . وفي «حجة الوداع» سنَّ محمد ، بصورة نشورية غريبة ، شائراً الوقفة في تَرَقات ، وإذا أتى على الحج كفارة عن الذنوب ، «أدخل العمرة في الحج الى يوم القيامة» . وهكذا يتجاوز الشرع آفاق الحرم (صرفاً في الجبل) ويتجاوز الربا والاخذ بالثأر واستعباد المرأة ، ويتصاعد قربان الفؤاد ، في دعاء مطلق من القيود ، حتى حدود الغفران ، وإذا بالجنة تتراى على الافق نازلة كالروس من السماء ، «مع نزول الله» (قرآن ٥٠: ٣٠) ، وراجع «رؤيا» يوحنا) . وإذا بجد اذالك ، فيما يتعلق بشخصه ، يتجاز (كما فعل ابليس حسب قول الخلاج) الى صودة العبادة الاولية فينار على الانكماش فيها ، تدركاً للاحتجاج المسلمين الاتقياء . ان يحققوا في نفوسهم عند تأملهم بالقرآن ، مهمة «إكمال الدين» التي تكلم عنها وقت حجة الوداع . وكان ذلك بيضمة شهود قبل ان يعاجله انوت المبكر ، فيكون موته «المصيبة» الاولى التي تفتتح معائب انتها العالم . اما تلك المهمة فهي تقديس «الابدال» اولئك الذين القوا اتكالمهم كله على الله ، اقتداءً بابراهيم .

وليست هي التزعة الجوفية في الاحاديث التي جئتها اصحاب التفاسير والمُستندات ، بل هي الشعائر الدينية المفروضة بطريقة غريبة ، التي ساعدت الاسلام الناشئ على التنبه الى ما في التأمل الجماعي باتنها العالم من قدرة فعالة على تقديس النفوس .

ولم يطل الامر حتى ادرك الاسلام ، وهو بعد في المدينة ، ما الاهمية الغير المماثلة للسورة القرآنية ، سورة «اهل الكهف» التي كانت تُقرأ للعباد من الدجال وما برحت النص الشعائري الثابت تُقرأ منذ ثلاثة عشر جيلاً في العالم لاسلامي باسره ، في الصلاة الكبرى كل يوم جمعة (حديث نافع^(١)) . وهذه السورة ، في اول موضوعاتها ، تعرض قصة اهل الكهف السبعة الافسين ، مظهرة

(١) نافع ، في «لسان الميزان» ، جزء ٥ ، ص ١٥٢ . اوفد اثنان من غنفا القرن التاسع بنات الى كهف افسوس والى سرد دريند العظيم (البروني) «الآثار الباقية» ، ص ٢٨٥ ؛ ياقوت ، «معجم البلدان» ، جزء ٣ ، ص ٥٦ .

كيف ان هؤلاء المؤمنين رفضوا ان يحددوا دينهم فلجأوا الى كهف حيث احياهم الله بشكل عجيب ، وقتسهم ، « يقلمهم ذات اليمين وذات الشمال » « ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً » ، وكيف ابقاهم ليكونوا له شهوداً في آخر الزمان . أما الموضوع الثاني ، عن موسى ورسول الله (الخضر) ، فيبين لاحد الانبياء كيف ان سر الله ليس سوى اسرار القلوب جميعاً ، تلك التي لا يطلع عليها سوى الاولياء ، الواحد تلو الآخر ، وهم في حضرة الله (قرآن ٥٠ : ٣٦) وفي الموضوع الثالث وصف للسد العظيم ، سد يأجوج ومأجوج الحافظ للعالم المسدّن ، وقد هدّدت جحافل (الترك) يأجوج ومأجوج بفتح ثغرة فيه (يأجوج ومأجوج = المسيح الدجال ؟ انظر قرآن ٢١ : ٩٦) .

وهناك ، في السور الاخرى ، آيات متفرقة تدوي فيها اصدااء نبوية فتبعث امالاً ثورية في نفوس « المستضعفين » وفي نفوس « الموالى » خاصة (وهم دخلاء في الاسلام ، من غير العرب ، يكاد علي ان يكون وحده المدافع عنهم) . منذ خلافة عمر عذب صبيغ بن عجل التميمي لانه فسر تفسيراً ملحياً سورة « الذاريات » (قرآن ٥١ : ١) وهي « الرياح المحرقة » ، محوم العدل (انظر في الذيل رقم ١٩٦ من « خطبة البيان ») ، وفي خلافة عثمان ، نهض ابو ذر ينادي باقتراب المهدي حيث يقتصر النقراء والمساكين من الاثرياء والمكابرين . واذا بذلك النوع الادبي ، « المريق الروية » ، نوع « المثالب والمناخر » ، يسر فرق مستوى النزاع القبائلي الى النفس الملحمي ، نظير اسلوب دانته (Dante) وبلوا (Léon Bloy) ، فيصح بلاغة ساخرة ، تلابية تصب اللثة على البض والبركة على البض الآخر ، محطة ، في اندفاعها نحو الهدف النبوي ، مقاييس الجمال المألوفة . - وقدماً قال ترقليانوس (Tertullien) : « في سفر الرؤيا يتدك صريماً نظام الازمنة ! » (In Apocalypsi, ordo temporum sternitur) .

هكذا تكلم الروح في انبياء اسرائيل . ولكن اليهود اذك اصترا اذانهم وقلوبهم « التلف » (قرآن ٢ : ٨٢ ؛ ٤ : ١٥٤) زاعمين ان يوسعهم جعل « يد الله مغلوله » (قرآن ٥ : ٦٩) ، بينما قد لن يكون باستطاعتهم ابداً ان يصبحوا هم احراراً . وعلى النحو ذاته تكلم الروح في « رؤيا » يوحنا الموجهة الى الكنائس السبع النافثة (قابل مع اهل الكهف السبعة الثامنين) : فيها

عودة الحاكم المنتقم ، عندما يستمد الروح تدريج البشرية المنصور بالعبادة الإلهية ، وقد أعلن يسوع تلك العودة إذ تكلم عنها بصيغة ضمير المتكلم : « انا الالف والياء . » ؛ قارن مع الانجيل حيث يقول : « انا الطريق والحق والحياة ! انا الباب ! انا الراعي الصالح ... » . ولكن المسيحين اذًاك ، حتى الرهبان منهم ، لم يتوصلوا الى ان يذروا رهبانيتهم « حتى رعايتها » بطريقة تجلّي « برضوان الله » (قرآن ٥٧ : ٢٧) وتجمل ان يكون فيهم « اناس كاملون » . ومن ذلك كانت فرقهم المتطيلة .

والقرآن ، اذ يصبّ وعود العقاب الالهي على المارقين من اصحاب الوعود الالهية الخاصة ، يهود ومسيحين ، لا يحلّ الى المسلمين وعود « الخطية » ولا الرجاء ببلوغ القداسة في العالم الآخر بل يطوي سجلّ المصير رادًا الزمن على اعقابه حتى بلوغ الوحي الذي أعطي لابراهيم ؛ ثم يتوعد المسلمين المناقذين بعقاب مباشر نظير عقاب اليهود والنصارى : « لن يجيرني في الله احد » (قرآن ٧٨ : ٢٢) ، « لا شخص اغير من الله » (البخاري ، في « التوحيد » ، نهايته) . على كل فرد ان ينجو وحده بنفسه . فاذا كان الحجّ عوضًا عن التغير مستطاعًا فما ذلك الا مرتبًا . ولهذا كان لا بدّ للانسان الكامل ان يخرج بشكل من الاشكال على شريعة الانسان . ولقد اصاب الاسلام فهم ذلك اكثر من اسرائيل . ولهذا السبب فالاسلام منذ الترمذي حتى ابن سبّين رأى في الانسان الكامل « خاتم الولاية » الذي هو روح عيسى الحالة إما على احد تلاميذه المرتشدين بهديته (المقدسي ، جز ٢ ، ص ١٧٢ مثل ابن هود الترمذي سنة ٦٩٩ ، قابل عند الدرور الابداليين : سلمان - حمزه) ، وإما بشكل ظهور شخصي امام الاولياء (ثم امام الصلحاء) وحدهم ، ثم امام الناس جميعاً (حسب الحلاج^(١)) . وهذا الظهور لإحكام العدل ، قد ربطه القرآن ثمان مرات بكلمة « كن » الباعثة ليوم الحساب^(٢) حيث بيدرو عيسى منفردًا مجردًا كأنه

(١) « روايات الحلاج » ، ص ٢٣ ؛ القرآن ، ١٥٧ : ٦ .

(٢) القرآن ، ١١١ : ٢٤ ؛ ٤٢ : ٣ ؛ ٤٢ : ٥٢ ؛ ٧٢ : ٦ ؛ ٤٢ : ١٦ ؛ ١٩ : ٢٦ ؛ ٣٦ : ٨٢ ؛ ٦٠ :

٧٠ (في رأي مقاتل ، راجع كتابنا Recueil ، ص ١٩٧ ؛ وكتابنا « آلام الحلاج »

(Passion) ، ص ٥٢٠)

تعود نجت للتولية الكاملة ، او كأنه ذلك الحق الذي هو خاتم الخلق :
« لا مهدي الا عيسى »^{١١} .

ولكن التفكير الاسلامي وجد ذاته حيران امام امر أشكل عليه ، وهو ان عيسى في مجيئه الاول لم يقض خاتم الخلق هذا فيبرهن عن بر الله وعدله بالرغم من ان الله ترك الصالحين يقاسون الاضطهاد ، بينما الانسان الكامل المتيد لا بد له ان يكون اجل من ان يغلب ، من حيث انه الشاهد ، واجل من ان يقتل ويموت^{١٢} ، من حيث ينبوع حياة . ولقد قال : « سياتي بعدي من ينتصف لي » (يوحنا ٨: ٥٥) . أتري سيكون بمد شخص آخر غير عيسى يتدي بوحى عيسى ، ويتصف لذلك العدل المنتقم الذي ينشده الاسلام في جهاده المقدس ؟ « انا عيسى الزمان » تقول الطلبة الشيعة على لسان علي (انظر « خطبة البيان » رقم ٢٦٠) . ولكن هناك اقلية متكاثرة من الشيعة المهوسين ، يحملون من هذا العادل المنتقم الغير المذكور الاسم (« القائم » = « المنتظر » = المهدي) شخصاً متحدراً من سلالة النبي ، اذاً فاطمياً ، علوياً .

ويؤكد البلاذري (راجع « الانساب » في « مجلة الدراسات الشرقية » RS) جز ٦ ، ص ٤٩٥) انه قام ، على اثر موت علي ، اربعة من الثلاثة^{١٣} يتناقلون عنه خطبة « مشكلة الفهم » . ومهما يكن الامر فتمت سنة ١٢٠ هـ سرت بين الناس خطاب ملححة الماني ووصية وجهر ، وكلها منسوبة الى علي (رواجهر

(١) « لا مهدي الا عيسى » : حديث الشافعي (الحسن البصري) عن لسان محمد بن خالد الجندي ؛ في « ميزان الاعتدال » جز ٣ ، ص ٥٢ ؛ « لسان الميزان » تحت اللقطة ؛ البكي ، « الطبقات » جز ١٠ ، ص ٢٨٠-٢٨١ ؛ ابن خلدون في « المقدمة » جز ١١ ص ١٨٨-١٨٩ ، ١٩٤ ؛ التندوزي في « اليتايح » ص ٤٣٤ ؛ الفتوح في « الاذاعة » ص ٦٤ ؛ هذا الحديث ناقض منذ سنة ٧٨٩ احد العلويين (المهدي السبائي) ، والسلطة هي ليس وحده ؛ والسفاح هو لقب ملححي أطلقه الشيعة على علي ؛ قابل بين الاسماء الملححية التي تسمى بها الخلفاء العباسيون (المنصور ، المنتصر ، المهدي ، القائم) كما ذكر ابن الخطيب في « تاريخ بغداد » جز ٩ ، ص ٣٩٩ ؛ وابن خلدون في « المقدمة » جز ٢ ، ص ١٨٣ .

(٢) علي وقاه ، ذكره السمرائي في « لوائح الانوار » تحت اللقطة الواردة .
(٣) حجر بن عدي ، عمر بن الحلق ، حبة بن جوين البجلي القرني ، عباد بن وهب الهسائي (= ابن سبأ) ، انظر اصبح ، حارث الهسداني ، دشتيد الهجري (عند ليقي دلا فيدا (Levi della Vida) .

هو تفسير ملحمي للقيمة العددية في الحروف الساكنة التي تؤلف الآيات الأولى من بعض السور القرآنية .

ومتى طُبق الجفر في قضية الانسان الكامل يكون هذا الاخير هو « الميم » (= ٤٠ = محمد) ، او « المين » (= ٧٠ = علي) ، او « السين » (= ٣٠٠ = سلمان ؟ عيسى ؟) ولكن رقمه ١٤٤ و ١٤٨ من « خطبة البيان » المذكورة في ذيله تقول انه التجلي الاسلامي لميسى . واخيراً فان « الصيحة بالحق » الكونية (قرآن ١١: ٥٠) ، صيحة نوح وصالح ، كانت أساساً لصرخة الخلاج الثورية : « انا الحق » التي أثارت الاثراك ، فلم تكن فكرةً محجّرة .

٤

وعلينا الان ان نحلل كلاً بتفرده العناصر الثلاثة التي تكوّن هذه النصوص الملحمية التي استعين بها على وصف الانسان الكامل عندما يجي . بين ازمات وبين مصائب جنة .

هو الجفر أولاً وهو استعمال عدد الحروف القرآنية المنفصلة (وهو تفسير الامام جعفر في رأي هازرون بن سعيد العجلي ، راجع ابن خلدون جزء ٢ ص ٢١٤) . لقد نبّه الاسماعيليون والدروز الى الوجة السرية الكامنة في الحروف الحماية التي تُستهلّ بها السورة « ١٩ » (كهمص) والسورة « ٤٢ » (حم عسق) فتوا الاولى ، « كهمص » ، « حروف الصدق » وستوا الثانية ، « حم عسق » ، « حروف الكذب » (ضد التصيرية الذين يقرأون الثانية هكذا : « المثلث ع - م - س هو الحق » ؛ قارن في العبرانية كلمة « امث » التي معناها الحق ، خاتم الله ، حسب إرميا ، ١٠ : ١٠ ، و « التلمود البابلي » ، « شبت » ١٥٥ ، و « التلمود الاورشليمي » ، « سهدرن » ، ١١٨ ، اعطاني هذا المرجع ف . فيشل (W. Fischel) . فالحروف الاولى تعادل عدد ١٦٥ والثانية عدد ٥١٨ ، وكلا العددين يصلح ان يتدخل في السيرة الصوفية لالام الخلاج التكفيرية (باعتباره « انسان كلمن ») فداءً عن بغداد . وذلك لان حديث ارطاة المشهور (الذي اورده نعم الثوفي سنة ٢١٨ هـ والطبري) يجمل العدد ٥١٨ سنة تهديم بغداد ، المدينة المتردوجة (وهي في الواقع أُسِّت سنة ١٤٤ هـ وخربت باعتبارها

عاصمة سنة ٦٥٦ ومنها نُقلت الخلافة الى القاهرة سنة ٦٦٢ ؛ فاذا جمنا ١٤٤ و ٥١٨ نحصل على ٦٦٢ ؛ وقد ردد الحلاج وهو يجتصر « آيتها » من القرآن (١٧:٤٢) . فالعدد الاول ١٦٥ ، اذا ما زيد على ١٤٤ ينتج عنها العدد ٣٠٩ ، السنة المجرية لموت الحلاج (قارن ايضاً بحروف طاء + سين ، فعدد هما ٩٠٣ هو مجموع حروف القرآن الاستهلالية وهو يعادل عدد ٣٠٩ منعكاً) ، وهذا العدد ٣٠٩ هو عدد « نجوهر الخليل » (الششثري) ، وعدد سني نيات اهل الكهف المقدس (قرآن ٢٤: ١٨) . وقد استخدم ابن ابي واطيل ، تلميذ ابن سبئين ، عدد ٦٨٣ (ك - ف - ج) ثم ، حسب الكندي ، عدد ٩٨ (د - هـ) فاستنتج ٦٩٨ سنة لعودة عيسى الروحية . وقد ظن الصوفي عاصر البصري ان هذه العودة قد تحققت في شخص المهدي الكاذب الأردستاني (المتوفي سنة ٦٩٩) ففي ظن الكندي ان عمر تاريخ الاسلام ٦٩٣ .

ومن بعد الحفر ، مواضع الكوارث في اليهودية - المسيحية ، وهي الفتن واشراط الساعة التي تسلمها القرآن من جديد فجئتها واوضحها على طريقته الخاصة : طوفانات ماء ، وامطار من نار ، ومذابح في اسكنة العبادة ؛ ويقترع القرآن الى اجمال ذكر الاويشة ولكنه يتكلم عن القمر (المرجون) من بين اشارات السماء ، ويستعيد مراراً ذكر مصائب الامس المفاجئة مشيراً الى ميزتها الدوائية اذ تتوالى تباعاً اخطارها الملحمية المهدة . فيضان امواه تقرق مراكز ومدن التجارات الحرام (فالكوفة اصيت « بتدور » الطوفان عقاباً لها عن مناكحة الجن قرب سجن الملاكين هاروت وماروت اللذين اغوتهما نهيدي ، قرآن ١٦: ٢ ؛ اما البصرة وكانت اصيت بالعقاب سنة ١٦٨ لانها لم تلي دعوة غلام خليل الخليلي الى التوبة ، فوف قتلها المياه ؛ قابل بينها وبين مرسيلا التي اُنذرت بعد الطاعون) . اما امطار النار فهي التي هدمت المراسم التي ارادت ان تتخلى عن الله (سدوم ، عاد ، ثمود ، مدين) ، اما انذار بابل بواسطة

(١) نعيم بن حماد ، « كتاب الفتن » ، مخطوطة الاسكوريال رقم ٢ ، ١٥٣٧/١٥٣٦ ؛ اختصره النعماني ، مخطوطة عاطف رقم ٦٥٣ (مجلة « الحضارة الاسلامية » ، Isl. Cult. ، جز ٣٠ ، ص ٣٦٦) ؛ ابن المنادي (المتوفي سنة ٣٣٣) ، « كتاب الملاحم » الذي افادت البيهقي في « العرف الوردية » الذي ذكره الحاروي ، جز ٢٠ ، ص ٨٦-٥٧ .

سفر « الرؤيا » ، (وهو صدى لحراب برج بابل ، فهو يستهدف روما ولندن وباريس) وتساقت لندى صيحة كبرى ، مثل صيحة نوح وصالح . وهكذا على النحو ذاته ، ان بغداد ، المدينة المئاة ، هذه « المدهامتان » الارضية ، قد أنذرت منذ البد . (حديث أرطاة)^(١) بالخراب (نهب القبول) وضاح الحلّاج عليها قبل الاوان صيحتها (الصيحة عكس البشرى) . اما فيما يتعلق بالمذابح التي ترك مدن العبادة قاعاً خراباً ، فاننا نرى الملاحم تقترح رمزاً يعالج القرآن ايضاحه في موضوعين :

كما ان اورشليم عرقت بالخراب ، هكذا شُماقب ايضاً بالخراب مكة او بالاخص الكعبة . ولكن بينما التي تلبت الهمد في بحيرة طبرية (او في انطاكية) ، اعدّ محمد خراب الكعبة الرمزي في حجة الوداع . « فإيدخاله العمرة (وهي خلوة العبادة قرب الكعبة) في الحج (وهو تقدم الضحية في عرفات) الى يوم القيامة »^(٢) ، أفصح للناس ان المسجد حيث نحن في احرام امام الله ، اي بدننا ، يجب ان يهدم مع الضحية الطقسية ، وذلك في الوقت ذاته حيث تقدم ذواتنا في عرفات ، كتقدمة « الذبيح العظيم » الذي ترمز اليه الاضاحي الحيوانية . ومقابل هذا تصبح اذاك كما تقول « خطبة البيان » تحت الرقم ١٠٥ ، « مائدة الكشف » ، اعني « مائدة الوجد المزمي » (قابل مع « الطمانينة »^(٣)) ، تلك العلامة التي هي سلوان للمسيحين الحقيقيين حتى انتقضاء الزمن ، ذلك « المشاء السري » الذي دعا المسيح اليه قبيل « آلامه » المحطمة . وهكذا فالاسلام كما انه يرجع « الممردية » الى « الفطرة » ، اي النور الفطري الابتدائي ، فانه كذلك يتلصق « المشاء السري » كلامة نشورية ، كتناول عقلي لنوع معقولي غامر بالسلوان الالهي (هي « الطمانينة » عند النصارى وهي « الكينة » عند اليهود) . وبينما كان العصاة القرامطة يتأهبون

(١) المطيب ، جزء ١ ، ص ٤٠ ؛ الطبري ، تحت الكلمة الواردة ؛ اما عن خراب

مدن اخرى فراجع مقال الذي ذكره المقدسي جزء ٢ ، ص ٩٧-٩٨ .

(٢) الحلبي ، في « انسان اليون » جزء ٣ ، ص ٢٩٧ ؛ ابن نبيسة في « الرسالة السبعينية »

ص ٩٣ .

(٣) مؤازرة ثبت الصلاة في الله (الشافعي) .

لذبح اهل مكة وتخطيط الكعبة ، ارسل الحلاج الى شاكر بن احمد كتاباً يقول فيه : « اهدم الكعبة (مع مسجد بدنك) وابنها بالحكمة (الميلاد الثاني) حتى تسجد الكعبة مع الساجدين وتركع مع الواكعين » . « وبينما كان اصحاب التفاسير الحرفية في زمان الحلاج لا يبتغون من النبوءات المتعلقة بخراب مكة سوى ما يبؤلهم رؤية هزيمة الاحباش سنة ٥٧٠ هـ قد عوّضت بانتصار اجباش آخرين ، لاهم القرامطة ، ادرك الحلاج ان قيامة «يكل بدنه المجيدة هي وقف على حبة خردل (= قطعة من جسده الذي أحرق قرباناً لله) ، وبهذا اوصل رمز حجة الوداع الى قمة معناه النشوري .

ومن الكعبة وقد جعلت شخصاً هو شخص الانسان الكامل ، تقودنا حتماً مواضع الملحيق الكبرى (هجوم الروم النصارى على الاسلام هجوماً يبدأ بنقض الهدنة وينتهي بالاحتلال على القبطينية) الى تصوير ملامح «القائم» الذي ينتصب للإطلاقات « فيبلا الارض عدلاً كما ملئت ظلماً » . وقد عرض لهوته بما عرض لهوة الضحية التي أرادت من ابراهيم والتي عرفها الاسلام (ابن حنبل) باسم اسحاق ثم تجلّى ، تحت تأثير العرقية ، عن اسحاق الى اسماعيل . اما «القائم» فقد اجمع اهل السنة على انه المسيح يعود ظاهراً لا مهاناً ، او على انه قائد مظفر مجل عليه روح عيسى ويهتدي بهدائه ، هذا ان لم يكن هو عيسى ذاته . وان ما يثبت صحة هذين التفسيرين فهو الحديث المشهور الذي اوردته الحسن البصري والثافعي : « لا مهدي الا عيسى » . اما من غير اهل السنة ، فهناك شيعون من الجيل الثاني (المتبرية ، المنصورية) ، ومعترلة من الجيل الثالث (احمد بن حابط والفضل الخدي) قد اقبلوا هذا الحديث ان لم يكن في شكله ففي جوهره ، وهو حديث تشتم منه ترعة الجدل العباسي ضد الشيعة . وفي اواخر القرن الثالث كان يقول بصحته عدد غفير من محدثي اهل السنة ، مثل ابن ماجه ، وابن خزيمة (المتوفى سنة ٣١٤) ، وابن زياد النيسابوري ، وابن ابي حاتم الرازي (المتوفى سنة ٣٢٧) ، والساجي البصري (المتوفى سنة ٣٠٧) ، والقرويني قاضي دمشق (المتوفى سنة ٣١٥) ، والطحاوي من القاهرة (المتوفى سنة ٣٢١) ، ومقبوب الاسفرائيني (المتوفى سنة ٣١٦) والطرائفي .

وهذا التأمل الاسلامي المتصل الحلقات في هداية عيسى الذي بدأ به الترمذي، قد استمر حتى بعد ابن العربي . ومنذ قرنين ، كانت ثمة في المغرب مدرسة باسرها تتابع تطعيمها من ابي المهدي عيسى الثعالبي (المتوفي سنة ١٠٨٠) ؛ انظر الكتابي في «الفهرس» جزء ٢ ، ص ١٩١ ، حتى محمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي (المتوفي سنة ١١٣٤) وتلاميذه (الأفراحي الموزع المتوفي سنة ١١٥١) ، والناصري محمد الدرعي التلمروقي المتوفي سنة ١١٥٨) ، مثبتاً ان هذا الحديث معناه ان عيسى روح الله هو الشيخ الهادي الى طريقة الحياة الكاملة ، وان في هذا مجي . «الانسان الكامل» .

واذا كان ، في القرن الاول ، رأي خاص باين سيرين يؤثر ان يحمل «القائم» في شخص «القحطاني» ، فان اقلية ما برحت على الاجيال تترايد بين الشيعة ، ترى في «القائم» عطرياً ، ثم من بعد ذلك حصرته في سليل فاطمي . واذا بهذا الاعتقاد الاخير يسود ، منذ تسعة قرون ، بين اكثرية المسلمين .

وهذا الفاطمي ، سليل البيت الشرعي ، وهو شاب فار أخفاه اتباعه (فترة «الكهف» في السورة ١٨ ، حسب الاسماعيلية) ؛ ولكن هذا «العائذ» الذي أعلن خليفته غصياً عنه ، لن يثمر في حكمه الحربي اكثر من تسع سنوات . ولكن هتالك من يستقدون بجي . ثلاثة مهدين متابعين^(١) قبل مجي . «الرجال» كما انه ستكون ثلاث بكرات «للرجعة» (القيامة) التي ستنتقم امام الجميع من الظالمين . اما المهدي الثاني فيكون الحسين (= المنتصر) ، نموذج المشهدين ، والمهدي الثالث هو ابيه علي (= السفاح) . وسواء تعلق الامر بهزيمة الروم (= بني الاصفه) التي ألمع اليها القرآن (١٠٣٠-٢) ، بأن عهد كسرى ، ومن هذه الهزيمة يستخلص ابن بزجان استعادة القدس ، وذلك بخمسين سنة قبل استردادها فعلاً سنة ١١٨٧ - ، ام كانت له صلة باختلال القسطنطينية «بفضل الصلوات لا بالسيوف والحراب» (ابن العربي) ، «عقدا .

(١) مهدي الخير ، الدم ، الدين ؛ وايضاً ثلاثة سفانيين . « كما في كتاب دانيال » (السيوطي ، الحاوي ، ص ٧٨٤٢ ، ٧٨٤٣) وثلاث «رجعات لبني» (محمد بن حامد للترمذي ؛ ذكره الشيبلي في «الجوهر الفريد» ، ورقة ٣٢ ب ، مخطوطة القاهرة ، مجموعة رقم ٢٢٩) ؛ ثلاث خمقات (ابن ماجه ، «سنن» جزء ٢ ، ص ٥٠١) .

مغرب « ، طبعة ١٣٥٣ ، ص ١٠ و ٦٨) وهو اختلال وعدت به الاحاديث . ستة اجيال قبل حدوثه (انظر القرآن ، ١٠٨ : ٢) - ، فالاحاديث تتردد في نسبة هذه الاحداث الى القائم ذاته او الى « الشاهد الثاني » (الذي يبدو مزيجاً من الشاهدين المذكورين في « رؤيا يوحنا » ، حيث « الشجرتان الزيتونتان المباركتان » - ايضاً جمعها القرآن في شجرة واحدة ؛ انظر القرآن ٢١ : ٣٥) .
ومن جهة اخرى فهذا « الشاهد الثاني » ليس هو تماماً الانسان الكامل ، لانه هو الروح الطاهرة ، العبد الصالح (الحضر = الياس) الذي سيقاب ويتقضي حثفه شهيداً . ولكنه سيكون السابق ، حامل الاية ، فيعلن العصيان في بلاد الترك ويمشي على رأس فيالق ساملة رايات سوداً (قابل رايات الباسين) او خمس رايات بيضاء ، زرقاء ، صفراء ، حمراء ، زرقاء عند الدروز) فيرد السفاني (ذي الرايات المرسومة بعلامة الصليب) واعوانه الكلبيين على اعقابهم ، ويوافي البسة الابدال في الحجاز (او البسة الراقدين في الكهف ، الآتين من بيسان) والمصائب الاربعين (الآتين من العراق) لاعلان بيعة « القائم » (او المهدي) . . ودور هذا الشاهد الثاني « ينهي بموته على ابواب القدس . اما اسمه فتختلف فيه المصادر ، فهو طوراً « القمطاني » ، وقارة « منصور » ، وحيناً « شيب » ، المرابي التسمي ، الآتي من طالقان (في الجوزجان) ، وهذا سبب فتنين ملجنيتين حدثتا سنة ٢١٩ وسنة ٣٧٩ . وفي صفوفه ، تبصر اول جنود « القائم » ، وهم مركز في مقدمة الجيش يُخفف ثلاث مرات في الحجاز كما تبصر نخبة الثلاثمائة والثلاثة عشر نفرأ (عدد اصحاب جدعون - طالوت ، عدد الظافرين في موقعة بدر) .

وبعد ان يُقتضى على النصارى ، يبدأ الكفاح ضد اليهود وعلى رأسهم الدجال (الذي هو « المسيح الدجال » ، التصور المبراني الاصلي للمسيح المضاد للمسيحية ، وهو آخر حلقة من سلسلة المراطقة البسة والاشترين ؛ وقد وصفه نص مسيحي مشهور بأنه سيكون « ابن اسقف وراهبة عبرانية ») . وهذا

(١) في حديث طالقان ، راجع الخدي في « البدء والتاريخ » جز ٣ ، ص ١٥٧ ؛ « اخبار الخلاص » طبعة ١٩٣٦ ، ص ٤٨ ؛ القندوزي ، في « البيانع » ص ٤٤٩ (قارنه بآين بابويه في « الاكمال » ص ٢٥٩) .

الدجال سيُجرح المعجزات التي اجتَرحها المسيح، وسيحتل الصحراء وجميع الموارد العذبة (طبرية، يبعان، زُغر)، فيهدي الناس إلى دينه، ويضرب الحصار حول المدينة (مسكراً في الظريب الاحمر، الذي هو الكتيب الاحمر^١)، حيث جرت «المباهلة» وحول مكة والقدس وسينا. - اذًاك يتزل عيسى، او قائد حلت عليه روح عيسى، هابطاً من السماء على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيظهر على الدجال ويقتله في لُد^٢، ويقتل الحُزير ويكسر الصليب وتكون الحجارة والشجر، ما خلا القرود، نمرتاً له في القضاء على اليهود الممارين (اليهود هنا حسب الفقرة ١٨ من عقيدة الدرور، هم الملونون السنيون المتعلقون بالتفسير الحرفي). ولا بد من الملاحظة في هذا الصدد ان هذا الوصف العتيق للدجال يتفاوت في الزمن مع تدريج القائم الفاطمي. ويبدو ان الحُصبي، وهو من الشيعة، يخلط بين الدجال وبين السفياني الذي يسميه «عثمان بن عنبه الفريث».

وهناك موضوع آخر قديم العهد (رويا يوحنا) هو الدابة وهي ذات منى متى هنا (احياناً هي علي). وقيامها سيكون بين الدخان وبين النار (المنذرة بيوم الحساب) التي تسطع من عدن او من اصفهان الى بصرى.

ويوافق هجوم «الشاهد الثاني» انهيار سد يأجرج وماجرج يدكه قوم «وجوههم كالمجان المطرقة، صغيرو الاعين، خُسُ الاثوف، يلبسون الشعر»، قيل انهم الاتراك، وذلك قبل القرن التاسع^٣. وينسب اخيراً الى القائم نبضة اقتحادية عامة فتاز إما بفيض الملرود النيلية (بفيض نهر الفرات

(١) ابن ماجه - جز ٢ - ص ٥١٤؛ انظر بحثي في «المباهلة» باريس (HE (SSR) سنة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ ص ٣٤٥. «اذًاك يهود الاسلام» غربياً» (ابن ماجه جز ٢ ص ٥٧٧؛ راجع بحثي في «سلان» سنة ١٩٦٣ ص ٦٣.
(٢) او في عكا (الفتوحات المكية» جز ٣ ص ٣٦٤ : الملحة الثانية = ارماجدون .

(٣) اتراك من بُت (سذابن الاشعث الفحطاني؛ راجع المسودي جز ٥ ص ٣٠٢)؛ اتراك دخلاء على الاسلام من سائراً، او عُزْر كفرة، او صينيون (المفدي جز ٢ ص ١٥٤؛ النووي جاش «صحيح» ابن مسلم جز ١٨ ص ٣٧؛ ابو داود طبعة سهرنبور Saharanpur جز ٥ ص ١٠٦ - ١٠٧ .

ذهبا^(١) في كثره بالكبرفة (في مسجد سهلة) وإما بصك نقود سليمة جديدة الشكل، مكعبة، فضية (لينة فضة) تُسد بها آخر نفرة في سور الإسلام، وهذا تكسب الركة. ولم يكن غير الحلاج وابن تومرت من جعل هذا « الدرهم المربع^(٢) » متداولاً بين الناس.

سوكا نقل الاتباس الناتج عن النظرية الالفية (millénariste) على الشرح المسيحي في تفسير رؤيا يوحنا حول ملكوت المسيح الظافر قبل الحساب الاخير، كذلك رزح تحته التفسير الاسلامي. اذ حاول وصفاً تلك النهضة الاجتماعية التي سيحققها « القائم » قبل يوم القيامة. أو ليس التكهن الشوري المشهور المغرب بطولع الشمس من المغرب الذي يعني اختتام عهد المنفرة، وحكم العدالة المنتقم، إطلائاً مباشراً على قواعد المنبر الاكبر؟ ان التصور الشيعة تصور فاطمة اذالك متشمة الشعر، رافعة صوب الشمس ولدها الاخير محسن القتل الذي لم يثار به. انها بهذا الشكل تصب الامنة على القاتلين^(٣). ولكن فاطمة عند الغلاة من الشيعة هي « حمرة المغرب حيث يطلع الهلال »، حمرة تُبدل بها الشمس (= ميم) في اوان « فجرها القرني » ليوم الحساب. وبما ان فاطمة تُعتبر تجسداً ثانياً لروح مريم (اذ ان فاطمة هي « فاطر » و « فاذر » من حيث العدد توازي مريم، اي عدد ٢٩٠) فابتها فاطمة يائله انتصار المرأة التي تمثل كنيسة الشهداء الذين في رؤيا يوحنا، غضبوا لإهمال العدل الالهي (قرآن ٥ :

١١٦، ١٩٤ : ٣٤)

اما الذين يحملون من مجي « القائم » ومن مجي عيسى « مجدد العصر » شيخ الطريقة الكاملة في نفوس الصوفية، حدثاً واحداً، فقد صوروا انتصار المرأة هذا على أنه انتصار « الرفيقة »، عروس عيسى في الجنة، تلك الراعية البوية

(١) مسلم - نروي، جزء ١٨، ص ١٨ - ٢٠ (قابل بتفصيله اخلاج).
 (٢) ساسي (Saey), Chrest. ١، جزء ٣، ص ٢٨٣ في التليق؛ غولدزيهر Goldziher, ZDMG. XLII, 41, 71, 103؛ ابن خلدون « المقدمة » جزء ٢، ص ٥٨.
 ١٩٣؛ ابن دحية « النبراس » ص ١٠١؛ « الفتوحات » جزء ١، ص ٣٥٥.
 (٣) الحصري، « الهداية » ص ٢٨٧ وما بعدها؛ فاطمة، « ام ايها » نضع محسن بين ذراعي جده.

التي «ترعى الفم مع الذئاب» ، شوماء ، « امرأة بلا رجلين ولا يدين ولا عيين » ، ولكنها « في سلام الله » (راجع ابو نعم ، « الحلية » ، جزء ٦ ، ص ١٥٨ ؛ جزء ١٠ ، ص ١٧٧ ؛ والنيسابوري ، « عقلا المجانين » ، ص ١٢٤ ، ١٢٩ ؛ والشاذلي ، مخطوطات القاتيكان العربية ، رقم ٣٢ ، ص ١٥٤ ؛ انظر في ذلك لثي دلا فيدا « فهرست مخطوطات القاتيكان » ص ٢٨١ ؛ لسان الدين ابن الخطيب ، « روضة التعريف » مخطوطة الظاهرية التصوفية ، رقم ٨٥ ، ورقة ١٣٠ ؛ وليون بلوا ، « حياة ميلانيا » (Léon Bloy. Vie de Mélanie ، ص ٨٧) .

كل هذه الموضوعات التي ذكرناها آنفاً كانت متفرقة ، منفدة فلتها جاعون كانوا في النزاهة يتفاوتون وجمورها في كتب دُعيت « كتب الملاحم » . واقدم هذه الملاحم كانت شعراً (قابل بالاناشيد السيليه Chants sibyllins اليهودية اللاتينية) ، منها ملحمة معدان السيطي (المتوفي حوالي سنة ١٦٥ هـ) في المهدي الشيمي (كما اورده الجاحظ وابو الفرج الاصفهاني) ، وفيها ذكر الطائر الحزافي « عنقاء » (الذي اختطف الطفل المضطهد وطار به الى السماء) . وفي الجبل الثامن للهجرة ، محلل ابن خلدون الملاحم التي تداولت استعمالها الأسر الحاكمة في افريقيا الشمالية وجماعات الصوفية (مثل القلندري الباجيري المتوفي سنة ٧٢٤) . ثم بعد ذلك كانت ملاحم مؤلفة بأسلوب الجمع (راجع في الذيل) « خطبة البيان » ، الرقم ٣) . واخيراً بين يدينا محاولات نثرية هي سرد لبعض السير قبل اوانها (ملحمة مجيرا المزعوم التي حللها آبل (Abel) ، ونصوص تركية من الجبل العاشر للهجرة وقد درسها داني Denys) فهي إما سيرة الانسان الكامل (المسيح بن داود اليهودي) وإما سيرة «شاهده المتلي» (المسيح بن يوسف اليهودي) . وهذا الشاهد ، قائد طليعة الرايات السود (الذي مثله من قبل ابو مسلم سنة ١٣٠ هـ) ، الذي يأتي من بلاد الترك ، دعاه نعم (وآيده المقدسي في « البد. والتاريخ » ، جزء ٢ ، ص ١٥٧) باسم شيب بن صالح الطالقاني ،

مولي تميم ، ذي اللحية المتفرقة ، وهو يستحب محبي « القائم » (الحسيني) او الحسيني الزيدي ، الآتي من خورتن ، في الصين = ما سين) فيظنر على السفياني (ذي الرايات الخضراء المرسومة بعلامه الصليب) في البيضا . قرب اصطخر ، ويمتثل بتسليك « القائم » والابدال السبعة في مكة ، ثم يُذبح « كالشاة » ، قيل لندحاريني كلب السفيانيين في بيلان ، في بطين - وادي مقدرون ، في ابياء . (= القدس) . وقد اعتبر اهل طالقان الحلاج في حياته انه هو شبيب هذا المُنْبَأ عنه ، ثم رأى فيه الشاذلية ، ثلاثة قرون بعد ذلك ، انه ابو مدني الشفيع القدس المحامي عن تلسان (انظر السيوطي ، الحاربي ، ٢٠٠٢ ، ٧٤ ، ٧٥) .

وها نحن الآن نحلل بالتفصيل « خطبة البيان » ، اذ انها النص الملحمي الاسلامي الذي كان اكثر النصوص تنويراً في تكويته على تعاقب الاجيال . ان آخر رواية له كانت رواية كامل الدين ابو سالم محمد بن طالحة الحلبي (الجليل الثالث عشر) في كتابه « اللب المنتظم » (راجع مخطوطة التريسي) من ورقة ١٢ ، والايادي ٣٥ - ٤٤ ، والقندوزي ، في « يتابع المودة » ، ص ٤٠٤ - ٤٠٧ ، ومخطوطة باريس رقم ٢٦٦١ ، من ورقة ٢١ ب الى ورقة ٢٤ أ) حيث تراه يتألف من ثلاثة اقسام : ديباجة تعدد اسماء الله (« خالق السموات والارض وفاطرها ... ») واسماء النبي محمد (« الخاتم لما سبق من الرسالة ... ») ؛ ثم تعداد بلنات الخليفة للصفات المتكاثرة التي لا بد من ان يعقب موته (« عظمت البلوى وانتدت الشكوى ... ») . اذ كان علي فوق المنبر يخطب في مسجد الكوفة الجامع قاطبه كافر يدعي - سويد بن نوفل الملالي يسأله من اين له كل هذا . ففي فورة غضبه ، القى عليه خطبة مؤلفة من ٢٦٨ اسماً حيث يضع ذاته في صفة التكلم (« انا سر الأشرار ... ») . اذك خر سويد الكافر ميتاً قابع علي كلامه (« سلوتي قبل ان تققدوني ! ») وهي عبارة غدت مشهورة ، سررداً ملحة ذات عبارات مؤلفة الايقاع ، وممدداً كل الفتق الصيدة حتى آخر الزمان ، ابتداءً من « عالج بني قنطور » (مهدم البصرة) ثم انتقال الحرب الى ناحية الغرب ، من العراق الى الشام ومصر

(الثوار القادمون من المغرب)، حتى الانتها. بهد وصول طليعة ظفارة الى القدس،
بيجي. « قاسم » الاسلام .

اما ميّزة الخطبة ففي الطلبة المؤلفة من ٢٦٨ اسما . وبالرغم من ان اترضي
لم يذكر عنها كلمة واحدة في مجموعته المعروفة ، الزيدية النزعة دون شك، والتي
جمعت الخطب المنسوبة الى عليّ (« نهج البلاغة ») ، منقولة عن مصادر ترقى
الى ١٥٠ سنة قبل « النهج » (الذي جمع حوالي سنة ٤٠٠ هـ ، ١٠٠٩ م) كما
بيّن هبة الله الشهرستاني ، بالرغم من ذلك فان « خطبة البيان » . قد ترقى الى
اواخر القرن الاول للهجرة . وان ما يدلّ على انها كتبت معروفة قبل سنة
٩٦٠ مسيحية ، فهو وجود خطبة اخرى ألفها ابو القاسم (ونشرها متس Mez) ،
ص ١٥٧) على الصيغة ذاتها لاجل التبرك ، ووجود اقتباس منها ورد في « بدو »
المقدسي (نشره هيرار Huart ، جز. ٢ ، ص ١٧٤) . فاذا كان الفسلة
المتأخرون من الشيعة قد ألفوا خطباً جديدة مستقلة عن هذه (راجع عن خطبة
البكتاشية ، برج Birge ، ص ١٤١) ، فان التصيريين يحتفظون بخطبتين نسبتا
الى عليّ (طاطنجية ، في مخطوطة باريس رقم ٥١٨٨ ، ص ٩٥ ؛ والحصبي في
« الهداية » ، ص ٤٧ ؛ لاحظ العبارة : « انا مهلك عاد . . . » ، وهي عبارة
شكا الصولي الشيعي المتشيع للتصيرية ، في دعوى سنة ٣٠١ هـ ٩١٣ م)
الحلاج انه قالها عن نفسه) . وهاتان الخطبتان تتشابهان كل الشبه ، ويرجع
تاريخها الى ما قبل سنة ٣٠٠ للهجرة .

في الاعلان الكيساني سنة ٨٩١ بعض شذرات من هذه الخطبة (طبري ،
انظر تحت سنة ٢٧٨ هـ) . ولكن من الممكن ان ترقى الى ما قبل هذا
التاريخ وذلك بفضل مصدر من مصادر « معرفة الرجال » (ص ١٣٨ ؛ انظر
المسماقاني ، ص ٣٩٢) لمؤلفه الشيعي ، الكشي (سيّر جُمعت قبل سنة ٩٠٠)
وفيه بعض مقتطفات من الخطبة رواها اسميل بن قتيبة (المتوفى حوالي سنة ٨٢٠)
عن طريق ابي العلاء . خالد بن طهتان الحنّاف السلولي الذي كان يرويا ، حسب

(١) عبارة مشهورة منذ مُنيرة. (راجع المقدسي في « البدء والتاريخ » جزء ٥ ، ص ١٢٦ ؛
لاحظ وصفاه السبعة للابدال السبعة) .

زعمه ، عن الامام باقر (المتوفى سنة ٧٣١) . وهذا الزعم له معناه ، اذ ان هذه الخطبة قد تكون عن سبئية الكوفة ، وهم فرقة تمتد بوجود روح الهى يتقمص بواسطة التناسخ ، من جيل الى جيل حتى يوم الحساب الاخير حيث تتحقق مجموعة الاسماء التاريخية مكتسلة في شخص « الانسان الكامل » . وهذه الاسماء قد عددها الجابريان (جابر الانصاري وجابر الجعفي) في الكتب المنحولة التي كانا ينسبانهما الى الامام باقر ؛ ولا اهمية لانيها فيس هو ذلك « الانسان الكامل » ، اكان الامام « الصامت » (فرقة السنية) ام كان الامام « الناطق » (فرقة الميمنية) ، ام كان احد المرشدين الملهمين (فرقة السنية : سلمان او عيسى) .

اما اللديباجة فتبدو احدث بكثير في الزمن .
واما الملحة التي تنتهى بها الخطبة فانها ، كما يظهر لنا بعد مراجعة لسلسلة « المصائب » القديمة العهد التي ذكرناها آنفاً ، تبدو وقد فقدت ، لكبر الزمن عليها ، كل نبرة تقريباً .

وهذه هي اهم ما في الخطبة من اسما . (وكلها تبدى بلفظة : انا)
١ : سرّ الاسرار ؛ ٢ : شجرة الانوار ؛ ٣ : دليل السموات ؛ ٤ : انيس المسبحات ؛
٥ : خليل جبرائيل ؛ ٦ : صفى ييكائيل ؛ ٧ : سَنَدِل الافلاك ؛ ٨ : سابق الزعد ؛
١٠ : سرير الضراع (= كعبة الباء الرابعة) ؛ ٢٠ : كيوان الكهان ؛ ٢٣ : موشى الميثاق ؛ ٢٤ : عصام الشواهد ؛ ٣٥ : باب الاسباب ؛ ٣٦ : امين الحساب ؛ ٣٧ : سرّ الملائق ؛ ٣٩ : جوهر القدم ؛ ٤٥ : الاول والاخر ، والظاهر والباطن ؛ ٦٤ : جناح البراق ؛ ٧٤ : شلال الخيال ؛ ٧٦ : مفجر الاضداد ؛ ٧٨ : مُفيض الفُرات ؛ ٨٨ : ام الكتاب ؛ ٩١ : اساس تلجد ؛ ٩٨ : خامس الكساء ؛ ١٠١ : رجل الأعراف ؛
١٠٥ : مائدة الكسف ؛ ١٠٩ : سرّ ابراهيم ؛ ١١٠ : شيان الكلم ؛ ١١١ : علانية المبرود ؛
١١٥ : مخاطب الكهف ؛ ١٢٧ : بشرى الترك ؛ ١٢٩ : هَتَبَتَا الزنج ؛ ١٣٠ : جرجس الفرنج ؛ ١٣٣ : برشم الروس ؛ ١٤٤ : ايليا الانجيل (طُور طابور ، الآلام : الأخضر) ؛
١٤٥ : جنة النزاة ؛ ١٤٦ : كاسي المرأة ؛ ١٤٧ : مواخي يوشع وموسى ؛ ١٤٨ : ميون رضى عيسى ؛ ١٥١ : شديد القوى ؛ ١٥٢ : حامل اللواء ؛ ١٥٣ : إمام المحشر ؛ ١٥٤ : سابق الكوثر ؛ ١٥٥ : قسم الجنان ؛ ١٥٧ : يسوب الدين ؛ ١٦٣ : قانع الباب (باب خير) ؛
١٦٥ : صاحب اليقين ؛ ١٦٨ : مخاطب الاموات ؛ ١٧٥ : الجوهرة الشينة ؛ ١٧٦ : باب المدية ؛
١٧٣ : مُحكم الطراسين ؛ ١٩٩ : ١٨٤ : امانة ياسين ، صاحب النجم (الزهرة) ؛ ١٩١ : جانب

الطور ؛ ١٩٢ ؛ باطن الصور ؛ ١٩٦ ؛ سهام الذاريات ؛ ٢٠٠ ؛ امانة « الاحزاب » ؛
 ٢٠٩ ؛ ممدوح « هل أتى » (قرآن ٧٦ : ١) ؛ ٢١٠ ؛ « النبا العظيم » (قرآن ٧٨ : ٢) ؛
 ٢٠٥ ؛ علامة الطلاق ؛ ٢١٦ ؛ غنوية النبط (= الوحي ، المعرفة) ؛ ٢١٥ ؛ هلال الشهر ؛
 ٢١٦ ؛ لؤلؤ الاصداف ؛ ٢١٨ ؛ سر الحروف ؛ ٢٢٥ ؛ روح الاشباح (وهي اجسام الافة
 المنظورة) ؛ ٢٢٩ ؛ الشهيد المقتول ؛ ٢٣٥ ؛ مكثر الاسماء ؛ ٢٣٦ ؛ صاحب الاذان ؛
 ٢٤٠ ؛ شيت البراهمة ؛ ٢٤٢ ؛ ذومن البطارق ؛ ٢٤٣ ؛ بطرس الروم ؛ ٢٥٠ ؛ شكاة
 النور ؛ ٢٥١ ؛ امام ارباب الفتوة ؛ ٢٥٩ ؛ مهدي الاوان ؛ ٢٦٠ ؛ عيسى الزمان ؛
 ٢٦١ ؛ وجه الله ؛ ٢٦٧ ؛ ليث بني غالب ؛ ٢٦٨ ؛ علي بن ابي طالب .

ان القرآن هو مصدر ثلث هذه الاسماء على الاقل . وهي تحشر في الاسلام
 كل الشعوب وكل الفرق (انظر الارقام من ١٢٧ الى ١٣٣ ومن ٢٤٠ الى
 ٢٤٣) مجتمعة في يوم الدينونة الاخيرة لتؤدي حساباً عن قبولها بالتجلي الالهي
 بين الناس ، تجلي الله في صورة انسان سُمي بواحد من هذه الاسماء التي أوحيت
 من قبل فاعترف له بها وبها دُعي للحصول على النجاة . وهنا تعترض مشكلة
 تعمقت في البحث عنها الفرق الشيعية : أهذا التجلي الالهي هو تجلي « السين » ،
 اعني تقديس شيخ عارف بواسطة الروح ؟ ام هو تجلي « العين » اعني الملكوت
 الصامت لله المبرود ، مقدس الامام ؟ ام هو تجلي « الميم » ، اعني شهادة كلام
 الله على لسان نبي ؟ ان اغلب الاسماء المذكورة اعلاه هي سينية (راجع الارقام :
 ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠) وهي
 تلمع الى ذلك الروح القدس الذي كان هادياً سامياً للخير ومن بعده لعيسى ثم
 سلمان ، والذي سيستقر في روح الحاكم الاخير . ولكن هنالك اسما اخرى
 تشير إما الى الانبياء ، وبشكل خاص الى محمد ، فهي اذاً ميسية (راجع
 ارقام : ٦٥ ، ٦٦ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٩) ، وإما الى اوصياء الانبياء . (راجع ارقام :
 ٩٨ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٤٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥١) ، على الاخص
 علي () . واخيراً توجد اسما تخص بالالوهة اللا مخلوقة الصامتة (راجع ارقام :
 ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩) ، [قابل مع « هيرولي الكواكب »] [٤٥ ، ٧٦ ، ٢٠١] . فهي
 اذاً عينية . ومصدر الخطبة هذه هو دون شك امامي « عيني » ، لأن يكرسها
 كلها لتأليه علي . ولكن نموذجها قد يكون ، على ما يظهر ، « سيني »

المصدر ، هدفه الاشارة الى الحاكم النهائي الذي عليه يستقر الروح - عيسى (سلان ، حمزه) .

لقد لاح للاسلام ، يعجبة «الانسان الكامل» الموضح دلائل المسيح اليهودي ما لم يحظر في انظار اسرائيل : اعني ذلك الدور النشوري التمهيدي الذي ستقوم به «المرأة الكاملة» ، تلك «المرأة» المضطهدة في رؤيا يوحنا ، التي سيولد منها «الانسان الكامل» . وبهذا الصدد اتنا نحيل القارئ الى تلك الخطبة النصيرية العجبية المكرسة لفاطمة^(١) ، او بالاحرى «الأنثوية» المتجلية في كلتا المرين ، مريم بنت عمران ومريم بنت يواقيم ، «صخرة الصحراء ذات العيون الاثنتي عشر» . اما الآفة الوحيدة في هذه الخطبة فهي انها توثق نسب الميلاد الروحي (حيث لها الفضل بانها تجمع بين «المرأة» و«السين») بمجملات ميلاد دموي مادي . ولقد كان الحلّاج اصدق حين عبّر عن ذلك النسب بكلمة اصح : «اسرائلنا بكر ما انتضها الا خاطر الحق» .

«ان صفة «ختم الولاية» للحكيم الترمذي ، وكنت قد نشرت تصييه وفقاً لابن العربي («مجنونة نصوص» ، Recueil ، صفحات ٣٣ - ٣٦ التي توافق «الفتوحات» ، جز. ٢ ، ص ٤٤ - ٤٥ ، و ١٥٤) ، تؤيدها الان تلك الفقرات الملائمة للحكيم الترمذي ذاته في «نوادير الاصول» طبعة ١٢٩٣ هـ . ص ١٥٧ - ١٥٨) ؛ راجع ابن العربي عن الاولياء العيسوية (في «الفتوحات» ، جز. ١ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٥ ؛ جز. ٢ ، ص ٦٤ - ٦٥ ؛ «رسالة القدس») .

(٢) راجع مجي في «العبادة النورية لفاطمة» .

« Gnost. Kult der Fatima » (Zürich, 1938), Eranos - Jahrbuch, 162-173 .

فيا ينحصر بالعلاقة بين فاطمة ومريم ، لنلاحظ ان والسدة المهدي لا بد من ان تكون ضرابية نبيلة الاصل (من سلالة بطرس) . والآفة لمولودون من «السين» (الذي هو الروح القدس) عند السنية ، واهم عندنا ، وهي تحمل من السين ، كما ان مريم « حملت باذخا » ابنا الذي بشرها الملاك به تلقياً باسمه (قرآن ٣ : ٤٠) .